

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۖ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: 10 - 11]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

سَوْقُ أُدْلَةٍ إِتْقَانٍ
أَفْعَالِ اللَّهِ
تَعَالَى وَإِحْكَامِهَا

لَمَّا خَتَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْآيَةَ الْمُتَقَدِّمَةَ بِاسْمِيهِ الْجَلِيلَيْنِ ﴿الْعَزِيزِ﴾ و﴿الْحَكِيمِ﴾ وما يَتَضَمَّنَانِهِ مِنْ صِفَتِي الْعِزَّةِ - وَهِيَ غَايَةُ الْقُدْرَةِ - وَالْحِكْمَةِ - وَهِيَ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ -؛ أَعْقَبَهُ بَيَانِ مَا دَلَّ عَلَيْهِمَا مِنْ إِتْقَانِ أَفْعَالِهِ وَإِحْكَامِهَا، فَقَالَ ﷺ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ الآية⁽¹⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿عَمَدٍ﴾: (عمد) تَدُلُّ تَصْرِيفَاتُهَا عَلَى اسْتِقَامَةٍ فِي شَيْءٍ عَلَى وَجْهِ الْإِتِّصَابِ أَوْ الْإِمْتِدَادِ، يُقَالُ: عَمَدْتُ الشَّيْءَ؛ أَي: أَسَدَدْتُهُ، وَالشَّيْءُ الَّذِي يُسْنَدُ إِلَيْهِ يُسَمَّى: عِمَادًا، وَالْجَمْعُ: عُمَدٌ، وَيُقَالُ أَيْضًا: عَمَوْتُ، وَالْجَمْعُ: عَمَدٌ⁽²⁾، وَمِنْ الْبَابِ: الْعَمْدُ وَهُوَ ضِدُّ الْخَطَأِ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ فِيهِ قَصْدًا لِلشَّيْءِ وَاسْتِنَادًا عَلَيْهِ⁽³⁾، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أَي: خَلَقَهَا مَرْفُوعَةً بِغَيْرِ شَيْءٍ تَسْتَنِدُ إِلَيْهِ⁽⁴⁾، وَذَلِكَ بِنَاءٌ عَلَى تِمَامِ الْوَقْفِ عِنْدَ ﴿عَمَدٍ﴾⁽⁵⁾.

(2) ﴿رَوَاسِيَ﴾: (رسا) تَدُورُ اشْتِقَاقَاتُهَا عَلَى مَعْنَى الثَّبَاتِ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 152/15.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عمد).

(3) الزاغبي، المفردات: (عمد).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (عمد).

(5) ابن الجوزي، تذكرة الأريب في تفسير الغريب، ص: 178.

يُقال: رَسَا الشَّيْءُ يَرْسُو؛ إِذَا ثَبَتَ، وَأَرَسَى اللَّهُ تَعَالَى الْجِبَالَ؛ أَي: أَثْبَتَهَا⁽¹⁾، وَالرَّوَاسِي مِنَ الْجِبَالِ: الثَّوَابِتِ الرَّوَاسِيخُ⁽²⁾، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾.

(3) ﴿تَمِيدٌ﴾: (ميد) تَدُلُّ تَصْرِيفَاتُهَا عَلَى أَصْلَيْنِ كَلِيَيْنِ: أَحَدُهُمَا: حَرَكَةٌ فِي شَيْءٍ، وَالْآخَرُ: نَفْعٌ وَعِطَاءٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَادَ، أَي: أَطْعَمَ وَنَفَعَ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْمَائِدَةُ مَائِدَةً⁽³⁾، وَمِنْ الْأَوَّلِ: الْمَيْدُ؛ وَهُوَ الْحَرَكَةُ وَالْمَيْلُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: فَلَانُ يَمِيدُ فِي مَشْيَيْتِهِ؛ إِذَا تَكَفَّأ⁽⁴⁾، وَخَصَّ الرَّاغِبُ الْمَيْدَ: بِاضْطِرَابِ الشَّيْءِ الْعَظِيمِ، كَاضْطِرَابِ الْأَرْضِ⁽⁵⁾، وَقَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أَي: لئَلَّا تَضْطَرِبَ بِكُمْ الْأَرْضُ.

(4) ﴿وَبَثَّ﴾: (بث) تَدَوَّرُ تَصَارِيفُهَا عَلَى مَعْنَى تَفْرِيقِ الشَّيْءِ وَإِظْهَارِهِ⁽⁶⁾، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَرَزَّابِي مَبْنُوْنَةٌ﴾^(٧) [الغاشية: 16]، فَإِنَّ مَعْنَاهُ: مُفَرَّقَةٌ فِي مَجَالِسِهِمْ⁽⁷⁾، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: هِيَ الْكَثِيرَةُ⁽⁸⁾، وَهَذَا لِإِزْمِ التَّفْرِيقِ غَالِبًا، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ أَي: فَرَّقَهُمْ فِي الدُّنْيَا⁽⁹⁾.

(5) ﴿دَابَّةٌ﴾: (دب) تَدُلُّ اشْتِقَاقَاتُهَا عَلَى حَرَكَةٍ عَلَى الْأَرْضِ هِيَ أَخْفُ مِنَ الْمَشْيِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: دَبَّ دَبِيبًا⁽¹⁰⁾، وَالدَّبُّ: الْمَشْيُ الْخَفِيفُ⁽¹¹⁾، وَالدَّابَّةُ: كُلُّ مَا مَشَى عَلَى الْأَرْضِ⁽¹²⁾، وَتَطَلَّقَ عَلَى مَا كَانَ يَعْقِلُ مِنْهَا وَمَا لَا يَعْقِلُ⁽¹³⁾.

(6) ﴿زَوْجٌ﴾: (زوج) تَدَوَّرُ تَصْرِيفَاتُهَا عَلَى مُقَارَنَةِ شَيْءٍ لِشَيْءٍ⁽¹⁴⁾، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَرِينَيْنِ مِنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى فِي الْحَيَوَانَاتِ الْمُتَزَاوِجَةِ: زَوْجٌ، وَلِكُلِّ قَرِينَيْنِ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رسي).

(2) الجوهري، الصحاح: (رسا).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ميد).

(4) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 242.

(5) الزاغب، للفردات: (ميد).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بث).

(7) الأزهري، تهذيب اللغة: (بث).

(8) الفراء، معاني القرآن: 3/ 258.

(9) أبو غبيد الهروي، الغريبين: (بث).

(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دب).

(11) الزاغب، للفردات: (دب).

(12) الجوهري، الصحاح: (دب).

(13) الأزهري، تهذيب اللغة: (دب).

(14) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زوج).

زَوْجٌ، كَالنَّعْلِ وَالْخُفِّ⁽¹⁾، وَالزَّوْجُ: الْجِنْسُ وَالصَّنْفُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَتْبَثْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أي: مِنْ كُلِّ جِنْسٍ حَسَنٍ⁽²⁾.
 (7) ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: (دون) تَدُلُّ تَصْرِيْفَاتُهَا عَلَى مُدَانَةِ وَمُقَارَبَةِ، يُقَالُ: هَذَا دُونَ ذَاكَ، أَيُّ: هُوَ أَقْرَبُ مِنْهُ⁽³⁾، وَيُقَالُ لِلْقَاصِرِ عَنِ الشَّيْءِ: دُونٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: 118]، أَيُّ: مِمَّنْ لَمْ تَبْلُغْ مَنْزِلَتَهُ مَنْزِلَتَكُمْ فِي الدِّيَانَةِ، وَقَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]، أَيُّ: مَا كَانَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، وَقِيلَ: مَا سِوَى ذَلِكَ، وَالْمَعْنَيَانِ مُتَلَاذِمَانِ⁽⁴⁾، وَيَرِدُ (دون) بِمَعْنَى (غير)، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

خلق الله تعالى السماوات، ورفَعَهَا بِغَيْرِ عَمَدٍ كَمَا تُشَاهِدُونَهَا، وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ جِبَالًا ثَابِتَةً رَاسِخَةً؛ لِيَلَّا تَضْطَرِبَ بِكُمْ الْأَرْضُ وَتَتَحَرَّكَ فَتَقْسُدَ حَيَاتُكُمْ، وَنَشَرَ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلَفَ أَنْوَاعِ الدَّوَابِّ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّحَابِ مَطَرًا، فَأَنْبَتَ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهِجٍ نَافِعٍ حَسَنٍ الْمَنْظَرِ، وَكُلُّ مَا تُشَاهِدُونَهُ هُوَ خَلْقُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَأَرُونِي - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ -: مَاذَا خَلَقَتْ آلِهَتُكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؟ بَلِ الْمُشْرِكُونَ فِي ذَهَابٍ بَيْنَ عَنِ الْحَقِّ وَالِاسْتِقَامَةِ⁽⁵⁾.

❁ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالْبَلَاغِيُّ:

نُكْتَةُ فَضْلِ الْآيَةِ عَمَّا قَبْلَهَا:

فُصِّلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ عَمَّا

مِنْ مَظَاهِيرِ
عِزَّةِ اللَّهِ تَعَالَى
وَجَمَمَتِهِ دِقَّةِ
الْخَلْقِ وَإِتْقَانِهِ

دَلَائِلُ عِزَّةِ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ
وَجَمَمَتِهِ

(1) الرَّاعِبُ، الْفُرْدَاتِ: (زَوْجٌ).

(2) التَّسْفِي، مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ: 2/ 713.

(3) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللَّغَةِ: (دُونَ).

(4) الرَّاعِبُ، الْفُرْدَاتِ: (دُونَ).

(5) نَخْبَةٌ مِنْ أَسَانِيدِ التَّفْسِيرِ، التَّفْسِيرُ لِلْبَيْسَرِ، ص: 411.

قَبْلَهُ؛ لِوُقُوعِهِ اسْتِثْنَاءً نَحْوِيًّا مَسْوُوقًا لِلْاِسْتِشْهَادِ بِمَا فُصِّلَ فِيهِ عَلَى عَزِّتِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَفِيهِ تَمْهِيدٌ لِقَاعِدَةِ التَّوْحِيدِ وَتَقْرِيرُهُ، وَابْطَالُ أَمْرِ الشِّرْكِ وَتَبْكِيتُ أَهْلِهِ⁽¹⁾، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ دَالًّا عَلَى أَنَّ آيَاتِ هَذَا الْكِتَابِ الْحَكِيمِ مَذْكُورَةٌ لِلْجَمِيعِ، فَهِيَ هَدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمَحْسِنِينَ؛ إِذْ يَتَأَمَّلُونَهَا وَيُدْرِكُونَ أَنَّ لِهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَجِيبَةِ الْمُتَحَدِّثِ عَنْهَا خَالِقًا عَزِيزًا حَكِيمًا، وَأَنَّ الْآخَرِينَ عِنْدَمَا يَسْمَعُونَهَا يَتَهَكَّمُونَ بِهَا، وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِمَضَامِينِهَا، فَذَكَرَ الْآيَاتِ الَّتِي سَبَقَ التَّنْوِيهِ بِانْقِسَامِ النَّاسِ إِزَاءَهَا إِلَى فَرِيقَيْنِ: مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ.

نُكْتَةُ خُلُوِّ الْآيَةِ مِنَ التَّوَكُّيدِ:

سَبَقَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ دُونَ تَوَكُّيدٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ يَدَّعِي أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ أَوْ شَارَكَ فِي خَلْقِهَا، فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مَفْطُورُونَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِخَالِقِهِمْ ﷻ، إِلَّا مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْمُكَابَرَةِ، فَفِي تَرْكِ التَّوَكُّيدِ إِيْمَاءٌ إِلَى أَنَّ مَا ذُكِرَ أَمْرٌ مُسَلَّمٌ بِهِ، فَيَصِحُّ بِذَلِكَ الْاِحْتِجَاجُ بِالْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ عَلَى الْمُخْتَلَفِ فِيهِ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ.

الاحتجاج على
إفراء الله تعالى
بالعبادة

مَعْنَى (أَل) فِي «السَّمَوَاتِ» وَ«الْأَرْضِ»:

(أَل) فِي «السَّمَوَاتِ» وَ«الْأَرْضِ» مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ رَوَاسِيً﴾، هِيَ لَامُ الْجِنْسِ الْمَفِيدَةُ عُمُومَ السَّمَاوَاتِ وَعُمُومَ بَقَاعِ الْأَرْضِ الْمُنْدَرِجَةِ فِي لَفْظِهَا، فَالْلَفْظَانِ شَامِلَانِ لِكُلِّ مَا يَصْدُقُ عَلَيْهِمَا مِنْ مَعْنَى، فَيَدْخُلُ فِي لَفْظِ «السَّمَوَاتِ» السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَفِي لَفْظِ «الْأَرْضِ» الْأَرْضُونَ السَّبْعُ كُلُّهَا.

الإيماء
إلى عموم
السَّمَاوَاتِ
وعُمومِ بَقَاعِ
الأرض

نُكْتَةُ جَمْعِ «السَّمَوَاتِ» وَإِفْرَادِ «الْأَرْضِ»:

اخْتَارَ النَّظْمُ الْقُرْآنِيُّ التَّعْبِيرَ بِالسَّمَاوَاتِ جَمْعًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 152، وأبو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 7/ 70، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 80.

السَّمَاوَاتِ مَقَرُّ
الْمَلَائِكَةِ وَمَحَلُّ
دَارِ الْجَزَاءِ

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾؛ لأنَّ المقصودَ بِهَا ذَوَاتُ السَّمَاوَاتِ بأعدادِها الكثيرةِ، والسَّمَاوَاتُ هِيَ مَقَرُّ الْمَلَائِكَةِ وَمَحَلُّ دَارِ الْجَزَاءِ، وَمَهْبِطُ الْمَلَائِكَةِ وَالْوَحْيِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا أُريدَ جِهَةُ الْعُلُوِّ؛ فَإِنَّهَا تَرِدُ مُفْرَدَةً⁽¹⁾، وَلَمْ تَرِدْ لَفْظَةً (الْأَرْضِ) مَجْمُوعَةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُطْلَقًا، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾، فَإِنَّ السَّمَاءَ إِذَا ذُكِرَتْ مَجْمُوعَةً جِيءَ بِلَفْظِ الْأَرْضِ مُفْرَدًا فِي جَمِيعِ مَوَاضِعِهَا، وَعُدِلَ عَنِ الْجَمْعِ لِثِقَلِهِ، وَالْجُسَاءُ⁽²⁾ الَّتِي تَعْرِضُ لِلْفِطْرِ، حَتَّى إِنَّ النَّظْمَ لِيَحْتَلُّ بِسَبَبِ ذَلِكَ⁽³⁾.

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ خَلْقِ (السَّمَوَاتِ) عَلَى الْإِلْقَاءِ فِي (الْأَرْضِ):

الآيَةُ فِي
السَّمَاوَاتِ
أَعْظَمُ مِنْهَا فِي
الْأَرْضِ

قُدِّمَ ذِكْرُ السَّمَاوَاتِ عَلَى الْأَرْضِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾؛ لِاقْتِرَانِهِمَا فِي سِيَاقِ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَى رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْآيَاتِ فِي السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ؛ لِسَعَتِهَا وَعَظَمِهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ كَوَاكِبِهَا وَبُرُوجِهَا، وَاسْتِغْنَائِهَا عَنْ عَمَدٍ تُقْلُّهَا أَوْ عِلَاقَةٍ تَرْفَعُهَا، وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُرْجَعَ الْبَصَرُ فِيهَا كَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَيُتَأَمَّلَ اسْتَوَاؤُهَا وَاتِّسَاقُهَا، وَبِرَاءَتُهَا مِنَ الْخَلَلِ وَالْفُطُورِ؛ فَكَانَتِ الْآيَةُ فِيهَا أَعْظَمَ مِنَ الْأَرْضِ⁽⁴⁾.

مَعْنَى الْبَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾:

نَفْيُ الْعَمَدِ
عَنِ السَّمَاوَاتِ
حَاصِلٌ مِنْ أَوَّلِ
وَقْتِ خَلْقِهَا

الْبَاءُ فِي ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ دَالَّةٌ عَلَى الْمُسَاحَبَةِ، أَيُّ: أَنَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَقَعَ مُصَاحِبًا لِنَفْيِ الْعَمَدِ عَنْهَا، فَلَمْ تُخْلَقْ بِعَمَدٍ ثُمَّ بَعْدَ اسْتِقْرَارِهَا أُزِيلَ ذَلِكَ الْعَمَدُ، بَلْ نَفْيُ الْعَمَدِ عَنِ السَّمَاوَاتِ حَاصِلٌ مِنْ أَوَّلِ وَقْتِ خَلْقِهَا.

(1) عبد الفتاح لاشين، صفاء الكلمة، ص: 121 - 122.

(2) من جساء، وهو يدلُّ على صلابة وشدة، ابن فارس، مقاييس اللغة: (جساء).

(3) الزَّافِعِي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 160.

(4) عبد الفتاح لاشين، صفاء الكلمة، ص: 125 - 124.

المَوْقِعُ النَّحْوِيُّ لقوله: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾:

الجارُّ والمَجْرُورُ ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى الْحَالِ⁽¹⁾، وَالْمَعْنَى: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ خَالِيَةً مِنْ عَمَدٍ، وَالْأَصْلُ أَنَّ الْحَالَ مُقَارِنَةٌ لِعَامِلِهَا فِي الزَّمَنِ، فَأَفَادَ ذَلِكَ أَنَّ خَلْقَهَا مِنْ غَيْرِ عَمَدٍ وَاقِعٌ ابْتِدَاءً.

مُقَارِنَةٌ انْتِفَاءٍ
الْعَمَدُ لِخَلْقِ
السَّمَاوَاتِ

نُكْتَةُ تَنْكِيرٍ ﴿عَمَدٍ﴾:

نُكِّرَ لَفْظُ ﴿عَمَدٍ﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾؛ لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ، وَذَلِكَ لِوُقُوعِهَا فِي سِيَاقِ النَّفْيِ بـ (غَيْرِ)، وَذَلِكَ يَقْتَضِي خُلُوهَا السَّمَاوَاتِ مِنْ أَيِّ عَمَدٍ مُطْلَقًا، أَوْ مِنْ أَيِّ عَمَدٍ مَرْتِيَّةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

خُلُوهَا السَّمَاوَاتِ
مِنْ أَيِّ عَمَدٍ
مُطْلَقًا

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِقَوْلِهِ: ﴿تَرَوْنَهَا﴾:

جُمْلَةُ ﴿تَرَوْنَهَا﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِي مَحَلِّ جَرٍّ صِفَةً لـ ﴿عَمَدٍ﴾، أَوْ تَكُونَ جُمْلَةً مُسْتَأْنَفَةً، فَعَلَى الْأَوَّلِ: يَكُونُ الْمَعْنَى: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ مَرْتِيَّةٍ لَكُمْ، فَيَكُونُ النَّفْيُ مُتَسَلِّطًا عَلَى الْعَمَدِ الْمَرْتِيَّةِ، وَذَلِكَ يُفْهَمُ أَنَّ لَهَا عَمَدًا، إِلَّا أَنَّهَا غَيْرُ مَرْتِيَّةٍ لَنَا، وَكَوْنُهَا لَا تُرَى أَدْخَلَ فِي الْحِكْمَةِ وَأَدْقُ فِي اللَّطَافَةِ وَالْعَظَمَةِ: لاحتِاجِ مِثْلِ هَذَا الْخَلْقِ إِلَى عَمَلَيْنِ: تَخْفِيفِ الْكَثِيفِ، وَتَقْوِيَةِ اللَّطِيفِ، وَعَلَى الْآخَرِ: يَكُونُ الْمَعْنَى: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ مُطْلَقًا، وَالِدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّكُمْ تَرَوْنَهَا كَذَلِكَ لَا عَمَدَ لَهَا؛ إِذْ لَوْ كَانَ لَهَا عَمَدٌ لَكَانَتْ مَرْتِيَّةً فِي الْغَالِبِ، وَهَذَا أَدْلُ عَلَى عَظَمَةِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ؛ إِذْ كَانَ مِثْلُ هَذَا الْخَلْقِ الْكَبِيرِ الْوَاسِعِ يُحْمَلُ بِمَحْضِ الْقُدْرَةِ⁽²⁾.

كَوْنُ السَّمَاوَاتِ
مَخْلُوقَةً مِنْ
غَيْرِ عَمَدٍ أَضْلًا
أَدْلُ عَلَى عَظَمَةِ
الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 532/7.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 152/15 - 153، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 70/7، والقنوجي، فتح

البيان: 279/10، وابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية: 382/1.

فائدة عطف قوله: ﴿وَأَلْقَى﴾:

بَيَانُ الْأَوْتَادِ الْمُقَرَّةِ
بَعْدَ بَيَانِ الْعَمَدِ
لِلْمُقَلَّةِ

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَمَدَ الْمُقَلَّةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾؛ أَعَقَبَهُ بِبَيَانِ الْأَوْتَادِ الْمُقَرَّةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾⁽¹⁾، وَعَطَفَ ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ﴾ عَلَى الْجُمْلَةِ قَبْلَهَا؛ لِمَا يَبْنِيهِمَا مِنَ التَّوَسُّطِ بَيْنَ الْكَمَالَيْنِ؛ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْخَبَرِيَّةِ، وَتَوَافُقِهِمَا فِي الْفِعْلِيَّةِ وَالْمَاضَوِيَّةِ، وَاتِّحَادِهِمَا فِي الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ وَهُوَ الضَّمِيرُ الْمُسْتَتِرُ فِي الْفِعْلَيْنِ ﴿خَلَقَ﴾ وَ﴿وَأَلْقَى﴾ الْعَائِدُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَيَكُونُ بَيْنَهُمَا جَامِعٌ عَقْلِيٌّ.

وَلَمْ يُعَبِّرِ النَّظْمُ الْجَلِيلُ هُنَا وَفِي سُورَةِ الرَّعْدِ ب (وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَأَلْقَى) أَوْ (خَلَقَ الْأَرْضَ وَمَدَّهَا)؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ وَاحِدَةٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ الْمَخْلُوقَةِ، وَأَنَّهَا عِنْدَ خَلْقِهَا لَمْ يَكُنْ لَهَا عَمْدٌ مَرْتَبِيَّةٌ؛ فَفِي الْمَوْطِنِينَ عِنْدَمَا تُوصَفُ السَّمَاوَاتُ بِأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ بِغَيْرِ عَمْدٍ مَرْتَبِيَّةٍ لَا يُعَبِّرُ النَّظْمُ عَنْ خَلْقِ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يُتَوَهَّمَنَّ أَنَّهَا مَتَّصِفَةٌ بِالْعَمْدِ الْمَرْتَبِيَّةِ بِقَرِينَةِ الْمَقَابِلَةِ.

دلالة تعدية الإلقاء بحرف الجرّ ﴿فِي﴾:

غَوْصُ الْجِبَالِ
فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ
وَاسْتِقْرَازُهَا فِي
مَكَانِهَا

حَرَفُ الْجَرِّ ﴿فِي﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ دَالٌّ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، وَفِي تَعْدِيَةِ فِعْلِ الْإِلْقَاءِ بِهَذَا الْحَرْفِ إِيْمَاءٌ إِلَى تَلَبُّسِ الرُّوَاسِي بِالْأَرْضِ، وَأَنَّهَا تَغْوِصُ فِي أَعْمَاقِهَا، وَأَنَّهَا ثَابِتَةٌ مُسْتَقَرَّةٌ فِي مَكَانِهَا⁽²⁾.

نكتة تقديم الجارّ والمجرور ﴿فِي الْأَرْضِ﴾:

الْإِثْنَانِ بِالْأَرْضِ
هُوَ الْأَصْلُ

قُدِّمَ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾؛ لِإِرَادَةِ الْاهْتِمَامِ بِالْمُقَدَّمِ؛ إِذِ الْمِثَّةُ بِالْأَرْضِ هُوَ الْأَصْلُ، وَأَمَّا الرُّوَاسِي فَمِنْ تَوَابِعِ ذَلِكَ وَتَمَامِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا، وَلَا يَدُلُّ التَّقْدِيمُ عَلَى حَصْرِ خَلْقِ الرُّوَاسِي فِي الْأَرْضِ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 153/15.

(2) سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1577.

بلادةً المجاز:

في قولِ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي﴾ مجازٌ مرسلٌ علاقتهُ المُسَبَّيَّةُ، وذلك في التَّعْبِيرِ عَنِ خَلْقِ الْجِبَالِ فِي الْأَرْضِ بِالْإِلْقَاءِ، إِذْ أَصْلُ الْإِلْقَاءِ رَمَى شَيْءٍ عَلَى الْأَرْضِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْجِبَالَ مَجْعُولَةٌ كَالْتَكْمَلَةِ لِلأَرْضِ؛ إِذْ هِيَ مَوْضُوعَةٌ فِي ظَاهِرِ سَطْحِهَا بِحَسَبِ مَا يَبِينُ لِلنَّاظِرِ⁽¹⁾، وَإِنَّمَا ارْتُكِبَ الْمَجَازُ لِدَلَالَةِ الرَّمِيِّ مِنْ فَوْقَ عَلَى الْفَرَسِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تُمَسِكَ أَجْزَاءُهَا عَنِ الْحَرَكَةِ وَالاضْطِرَابِ، كَمَا تُوحِي دَلَالَةُ الْإِلْقَاءِ وَالسُّقُوطِ مِنْ عُلوٍّ عَلَى التَّمَدُّدِ فِي الْأَرْضِ وَأَخْذِ مَسَاحَةٍ فِيهَا.

دلالة الإيجاز:

﴿رَوْسِي﴾ في قولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ جمعٌ: راسٍ، وهو مأخوذٌ مِنَ الرُّسُو؛ وهو التَّمَكُّنُ وَالثَّبَاتُ وَالاسْتِقْرَارُ فِي الْمَكَانِ، وَالْمَعْنَى: وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ جِبَالاً رَوَاسِيً، فَحَذَفَ الْمُوصُوفُ وَأَقِيَمَتِ الصِّفَةُ مُقَامَهُ؛ لِظُهُورِ الْمَعْنَى، فَاقْتَصِدَ فِي اللَّفْظِ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْحَالِ، فَهُوَ كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ [التَّحْمِنُ: 24] أَي: السُّفُنُ الْجَوَارِي⁽²⁾.

الموقع النحوي لقوله: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾:

﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٌ لَهُ⁽³⁾، وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ تَقْتَضِيهِ الْقَرِينَةُ؛ إِذِ الْمَقَامُ مَقَامُ امْتِنَانٍ، وَذَلِكَ دَالٌّ عَلَى أَنَّ الْمُغْلَّ بِهِ هُوَ انْتِفَاءٌ الْمَيْدَ لَا وَقُوعُهُ، وَالتَّقْدِيرُ: وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيً لِيَتَلَّ تَمِيدَ بِكُمْ، أَوْ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ بَيْنَ الْفِعْلِ الْمُغْلَّ وَ﴿أَنْ﴾، وَالتَّقْدِيرُ: وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيً كَرَاهِيَةً أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ⁽⁴⁾، وَفِي تَعْلِيلِ خَلْقِ

الْجِبَالُ مِنْ
تَوَابِعِ الْأَرْضِ
وَتَتِمَاتِهَا

الْاِقْتِصَادُ فِي
الْلَفْظِ اكْتِفَاءً
بِدَلَالَةِ الْحَالِ

مَقَامُ الْاِمْتِنَانِ
قَرِينَةٌ عَلَى
تَغْيِينِ الْمَحْذُوفِ

(1) علي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1577.

(2) علي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1577.

(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 532 / 7.

(4) علي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1578.

الرُّوَاسِي ما يدعو إلى التأمل في خلق الأشياء ومنافعها، وأنَّ عزيزاً حكيماً أوجدها لتحقيق مصالح للعباد، ولتكون دليلاً عليه عند المؤمنين، ومثاراً للهزءٍ والتَّهْكُومِ عند الكافرين، واختار المصدر المؤوَّل ليكون مفعولاً له بدل الصَّريح؛ لما فيه من دلالة الاستقبال والتَّجدُّد.

عَوْدُ الصَّمَائِرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾:

الصَّمِيرُ المُسْتَرُ في ﴿تَمِيدَ﴾ في محل رفع فاعلٌ، وهو يعودُ على ﴿الْأَرْضِ﴾ من قولِ الله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ﴾، والقرينةُ على ذلك قوله: ﴿بِكُمْ﴾؛ إذ المَيْدُ إذا عُدِّي بالباءِ دالٌّ على أنَّ المَجْرُورَ بها هو الشَّيْءُ المُسْتَقَرُّ في الطَّرْفِ المائِد⁽¹⁾، والصَّمِيرُ في ﴿بِكُمْ﴾ لِكُلِّ مَنْ يَصْحُ خطابه، ويجوزُ أَنْ يَخْتَصَّ بِالمُشْرِكِينَ؛ لأنَّهُم الذين سيقَ هذا الدَّلِيلُ لِأجلهم.

عِلَّةُ عَطْفِ ﴿وَبَتْ فِيهَا﴾:

عُطِفَ قوله تعالى: ﴿وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ على قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ﴾؛ لما بَيَّنَّهُمَا مِنَ التَّوَسُّطِ بَيْنَ الكَمَالَيْنِ؛ لاشتِرَاكِهُمَا في الخَبَرِيَّةِ، وتوافُقِهِمَا في الفِعْلِيَّةِ والمَاضُوِيَّةِ، واتِّحَادِهِمَا في المُسْنَدِ إِلَيْهِ وهو الصَّمِيرُ المُسْتَرِ في الفِعْلَيْنِ ﴿وَأَلْقَى﴾ و﴿وَبَتْ﴾ العائد إلى الله سُبْحَانَهُ.

نُكْتَةُ التَّغْدِيَةِ بِحَرْفِ الْجَرِّ (في):

عُدِّي فِعْلُ الْبَتِّ في قولِ الله سُبْحَانَهُ: ﴿وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ بِحَرْفِ الْجَرِّ (في) الدَّالُّ على الطَّرْفِيَّةِ؛ للدَّلَالَةِ عَلَى التَّمَكُّنِ، إِيْمَاءً إِلَى شِدَّةِ ارْتِبَاطِ الدَّوَابِّ بِمَقَرِّهَا - وهي الأرضُ - وانتشارها في جميع جوانبها، مع دلالةٍ على الكثرة والدَّقَّةِ في التَّوْزِيْعِ؛ نفعاً للعباد ومادَّةً للتَّأَمُّلِ في الخالق العظيم.

(1) علي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1577.

لِجَرُورِ بِالْبَاءِ
مَعَ فِعْلِ الْمَيْدِ هُوَ
الْأَمْرُ الْمُسْتَقَرُّ فِي
الطَّرْفِ الْمَائِدِ

الاشْتِرَاكُ فِي
الْفِعْلِيَّةِ وَالْمُسْنَدِ
إِلَيْهِ جَامِعٌ عَقْلِيٌّ

شِدَّةُ ارْتِبَاطِ
الدَّوَابِّ بِمَقَارِهَا

عَرَضُ حَذْفِ الْمُفْعُولِينَ:

في قولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ إيجازٌ بِالْحَذْفِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَفْعُولَ بِهِ لِلْبَتْ مُحذوفٌ، وَالتَّقدير: وَبَتْ فِيهَا حَيَوَانَاتٌ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، فَحُذِفَ لَفْظُ (حَيَوَانَاتٍ)؛ لِأَنَّ الْبَيَانَ الْوَاقِعَ بِهِ ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَيُرْشِدُ إِلَيْهِ، فَكَانَ فِي الْحَذْفِ اقْتِصَادٌ فِي اللَّفْظِ، كَمَا حَذَفَ النَّظْمُ الْمَفْعُولَ لَهُ؛ لِلتَّأَمُّلِ فِي عِلَّةِ خَلْقِ الدَّوَابِّ وَمَا فِيهَا مِنْ مَنَافِعَ جَمَّةٍ، بِخِلَافِ الرُّوَاسِي، إِذْ نَصَّ النَّظْمُ عَلَى الْعِلَّةِ فِيهَا؛ لِصُعُوبَةِ إدْرَاكِهَا.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ ﴿كُلِّ﴾:

جاءَ التَّعْبِيرُ بِلَفْظِ ﴿كُلِّ﴾ فِي قولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾؛ لِبَيَانِ عَظِيمِ قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِ الْخَلِيقَةِ وَنَشْرِهِمْ وَتَفْرِيقِهِمْ فِي الْأَرْضِ بِمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا وَاللَّهُ تَعَالَى خَالِقُهُ وَمُقَدِّرُ حَرَكَتِهِ.

نُكْتَةُ تَنْكِيرِ لَفْظِ ﴿دَابَّةٍ﴾:

نَكَّرَ لَفْظُ ﴿دَابَّةٍ﴾ مِنْ قولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ لِيَكُونَ أَدْخَلَ فِي التَّعْمِيمِ الْمُسْتَفَادِ مِنْ لَفْظِ ﴿كُلِّ﴾؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْآيَةَ وَارِدَةٌ فِي سِيَاقِ الْإِمْتِنَانِ، وَالنَّكْرَةُ فِي سِيَاقِ الْإِمْتِنَانِ تَدُلُّ عَلَى الْعُمُومِ⁽¹⁾.

فَائِدَةُ الْعَطْفِ فِي ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾:

عُطِفَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ عَلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّوَسُّطِ بَيْنَ الْكَمَالَيْنِ؛ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْخَبَرِيَّةِ، وَتَوَافُقِهِمَا فِي الْفِعْلِيَّةِ وَالْمَاضَوِيَّةِ، وَاتِّحَادِهِمَا فِي الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ وَهُوَ الضَّمِيرُ الْمُسْتَرَرُّ فِي الْفِعْلِ ﴿وَبَتْ﴾ الْعَائِدُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَالضَّمِيرُ (نَا) فِي ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾، وَفِي تَوَالِي

حَذْفُ مَا دَلَّ
السِّيَاقُ عَلَيْهِ
اِقْتِصَادًا فِي
الْلَفْظِ

بَيَانُ عَظِيمِ قُدْرَةِ
اللَّهِ تَعَالَى فِي
خَلْقِ الْخَلِيقَةِ
وَتَفْرِيقِهِمْ فِي
الْأَرْضِ

النَّكْرَةُ فِي سِيَاقِ
الْإِمْتِنَانِ مُفِيدَةٌ
الْعُمُومِ

الاشْتِرَاكُ فِي
الْفِعْلِيَّةِ وَالْمُسْنَدِ
إِلَيْهِ مُحَسِّنَاتٌ
لِلْوَضَلِ

(1) زكريا الأنصاري، غاية الوصول في شرح لب الأصول، ص: 75.

ذَكَرَ هذه المخلوقات وما فيها من منافعٍ دليلٌ قاطعٌ على عِزَّةِ الخالقِ وحِكمته العظيمة، والمؤمنُ يهتدي بهذه الآياتِ البينات، والكافرُ يشتري لهوَ الحديثِ ليضلَّ الناسَ عن سماعِها، وإذا ما سمِعَها ولَّى مستكبراً عنها.

بَلَاغَةُ الْإِتِّفَاتِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ:

مَزِيدُ الْعِنَايَةِ
بِأَمْرِ الْإِنْزَالِ
وَالْإِنْبَاتِ

في قولِ الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ التفاتٌ إلى التَّكَلُّمِ مِنَ الْغَيْبَةِ المذكورة في الأفعال: ﴿خَلَقَ﴾ و﴿وَأَلْقَى﴾، و﴿وَبَثَّ﴾، والنُّكْتَةُ في ذلك إبرازُ مَزِيدِ الْعِنَايَةِ بِأَمْرِ الْإِنْزَالِ وَالْإِنْبَاتِ؛ للاهتمامِ بهاتَيْنِ النُّعْمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَكْثَرُ دَوْرَانًا عِنْدَ النَّاسِ⁽¹⁾، وفي هذا الْإِتِّفَاتِ إِيقَاضٌ وَلَفْتُ لِهَذَا الْمَقْطَعِ الْمُهِمِّ مِنْ مَقَاطِعِ الْمَعْنَى؛ إِذْ إِنْزَالُ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ وَإِنْبَاتُ الزَّرْعِ مِمَّا تَتَعَلَّقُ بِهِ حَيَاةُ الْأَرْوَاحِ وَبِقَاوُهَا فِي الْأَرْضِ، إِضَافَةٌ إِلَى أَنَّهُ ضَرَبٌ مِنْ تَقْسِيمِ الْأَرْزَاقِ، فَنَاسَبَ أَنْ يُنْقَلَ الْإِسْنَادُ إِلَى ضَمِيرِ الْعِظَمَةِ لِلَّهِ تَعَالَى⁽²⁾، وفيه رَدٌّ عَلَى مَنْ يَعتقدُ أَنَّ إنباتَ الأرضِ بسببِ نزولِ المطرِ نَتِيجَةُ تَجْمُعِ الْغُيُومِ بِحَرَكَةِ الرِّيحِ، وَأَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ يَعُودُ إِلَى الطَّبِيعَةِ وَقَوَانِينِهَا؛ فَأَظْهَرَ الْفَاعِلَ الْمُتَكَلِّمَ لِبَيَانِ أَنَّ كُلَّ تِلْكَ الْعَوَامِلِ تَجْرِي بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا هَذِهِ الْعُلُوبُ وَالْأَسْبَابُ إِلَّا أَسْبَابًا نَاقِصَةً جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى تَجْرِي وَفَقَّ حَكْمَةً بَاهِرَةً، بِخِلَافِ أَفْعَالِ (الْخَلْقِ وَالْإِلْقَاءِ وَالْبَثِّ)، فَهِيَ أَفْعَالٌ إِيجَادِيَّةٌ لَا يُظَنُّ أَنَّهَا تَقَعُ لِعِلَلٍ طَبِيعِيَّةٍ، فَعَبَّرَ عَنْهَا بِأَسْلُوبِ الْغَيْبَةِ الْكَافِي فِي الْإِخْبَارِ عَنِ الْإِيجَادِ وَالْخَلْقِ وَالْإِنْشَاءِ.

غَرَضُ ذِكْرِ الْمُتَعَلِّقِ:

حَرْفُ الْجَرِّ ﴿مِنْ﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾

تَعْظِيمُ شَأْنِ
النُّعْمَةِ بِالْمَاءِ
النَّازِلِ مِنَ
السَّمَاءِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 153/15، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 70/7، والآلوسي، روح المعاني: 81/11، والقنوجي، فتح البيان: 280/10، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 146/21.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 153/15، وعلي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1578 - 1579.

دالٌّ على الابتداء، أي: أنَّ ابتداءَ نُزولِ الماءِ حاصلٌ مِنَ السَّمَاءِ، وذلكَ تَرْفِيعٌ لِقَدْرِهِ وتَعْظِيمٌ لَشَأْنِ هَذِهِ النِّعْمَةِ؛ فَإِنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُخْبَرَ بِنُزُولِهَا مِنَ السَّمَاءِ تَدُلُّ عَلَى مَزِيدِ تَشْرِيفٍ إِذَا سَقَتْ مَسَاقَ الْأَمْتِنَانِ، وفي تحديدِ مكانِ النُّزولِ دُونَ مكانِ الوصولِ وهي الأرض؛ لبيانِ أَنَّ أَمْرَ النُّزولِ يَحْتَاجُ إِلَى تَفَكُّرٍ وَاِنْتِبَاهٍ، فَإِنَّ مَنْ أَنْزَلَ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ لِيُحْيِيَهَا بِالنَّبَاتِ، يَرْسِلُ الْأَنْبِيَاءَ إِلَى النَّاسِ لِيُنَبِّتَ فِيهَا الْإِيمَانَ وَأَنْوَاعَ الْإِحْسَانِ، بَقِيَ أَنَّ (أَل) فِي «السَّمَاءِ» مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» يُرَادُ بِهَا الْعَهْدُ الْعِلْمِيُّ، وَهِيَ جِهَةٌ الْعُلُوِّ وَالْفَوْقِ، وَفِي ذَلِكَ تَأْشِيرٌ إِلَى مَدَى الْعَنَاءِ وَالرَّعَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ بِمَا خَلَقَ، وَأَنَّ كُلَّ تِلْكَ الْأَفْعَالِ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ، وَإِرْسَاءِ الْجِبَالِ، وَبَثِّ أَصْنَافِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَإِنْزَالِ الْمِيَاهِ، دَلِيلٌ هُدًى لِلْمُؤْمِنِينَ، وَحُجَّةٌ عَلَى الضَّالِّينَ وَالكَافِرِينَ.

نُكْتَةُ الْعُدُولِ:

فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» عُدُولٌ عَنِ الْجَمْعِ إِلَى الْإِفْرَادِ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ عَنِ إِنْزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ جُمِعَتْ السَّمَاءُ فَوَرَدَ النَّظْمُ الْقُرْآنِيُّ: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاوَاتِ مَاءً)؛ لَتَوَهَّمَ أَنَّ الْمَطَرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاوَاتِ جَمِيعًا وَمِنْ ذَوَاتِهَا، وَهَذَا غَيْرُ مُرَادٍ، إِذِ الْمَاءُ إِنَّمَا يَنْزِلُ مِنْ جِهَةِ الْعُلُوِّ، وَالتَّعْبِيرُ الْقُرْآنِيُّ عِنْدَمَا تَكَلَّمَ عَنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ جَمْعًا؛ لِأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ عَنْ ذَوَاتٍ مَخْلُوقَةٍ بَعَيْنِهَا، وَلَكِنَّهُ لَمَّا تَكَلَّمَ عَنِ إِنْزَالِ الْمَاءِ مِنْهَا أَفْرَدَهَا، فَتَغَيَّرَ النَّظْمُ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّمَاءِ جِهَةَ الْأَعْلَى مِنَ الْأَرْضِ دُونَ ذَوَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْزَالَ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَاتِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، بَلْ مِنْ جِهَتِهَا الْمَرْتَبَةِ.

بِلَاغَةُ الْمَجَازِ:

فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» مَجَازٌ مُرْسَلٌ، بِعِلَاقَةِ الْمَحَلِّيَّةِ؛ إِذِ الْمَقْصُودُ: أَنْزَلْنَا مِنَ السَّحَابِ مَاءً، وَمَحَلُّ السَّحَابِ فِي

بَيَانُ نُزُولِ الْمَاءِ
مِنْ جِهَةِ الْفَوْقِ

لَفَتْ نَظَرِ
الْمُتَلَقِّينَ لِلْخُطَابِ
الْقُرْآنِيِّ إِلَى
السَّمَاءِ لِقَصْدِ
تَأْمُلِهَا

السَّمَاءَ، فَأُطْلِقَ الْمَحَلُّ - وَهُوَ السَّمَاءُ - وَأُرِيدَ الْحَالُ فِيهِ - وَهُوَ السَّحَابُ -، وَفِي التَّعْبِيرِ بِالسَّمَاءِ إِيْمَاءٌ إِلَى جَلِيلِ الْعَظَمَةِ؛ إِذْ هُوَ يَنْزِلُ مِنْ مَكَانٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ الْوُصُولَ إِلَيْهِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا، مِنْ أَظْهَرِ الْآيَاتِ عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ، الَّتِي حَتَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهَا، وَالتَّأَمُّلِ فِيهَا كَثِيرًا، فَفِي التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ السَّمَاءِ إِيْمَاءٌ إِلَى لَفْتِهِمْ إِلَيْهَا لِفَتَةِ مُتَأَمِّلٍ⁽¹⁾.

عَرَضُ تَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ:

الاهْتِمَامُ بِالْمُقَدِّمِ
والتَّشْوِيقُ إِلَى
الْمُؤَخَّرِ

قُدِّمَ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ ﴿مَاءً﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾؛ اِهْتِمَامًا بِالْمُقَدِّمِ، وَتَشْوِيقًا إِلَى الْمُؤَخَّرِ، وَذَلِكَ أَنَّ تَأْخِيرَ مَا حَقُّهُ التَّقْدِيمُ يَجْعَلُ النَّفْسَ مَرْتَقِبَةً لَهُ، فَإِذَا وَرَدَ بَعْدُ؛ تَمَكَّنَ عِنْدَهَا فَضْلَ تَمَكُّنٍ، وَفِي إِقَاءِ الرُّوَاسِي فِي ﴿الْأَرْضِ﴾ وَإِنْزَالِ الْمَاءِ مِنْ ﴿السَّمَاءِ﴾ طَبَاقٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أُرِيدَ بِهِ أَنَّ التَّنْظِيمَ لِلْمَخْلُوقَاتِ كَانَ يَتَعَلَّقُ بِجَمِيعِ أَجْزَاءِ الْمَكَانِ مِنَ الْأَرْضِ وَمَا عِلاَهَا؛ لِيَكُونَ النِّظَامُ صَالِحًا لِلْعِيشِ فِيهِ، وَفِي ذَلِكَ آيَةٌ لِلنَّاظِرِينَ وَالْمُتَأَمِّلِينَ.

نُكْتَةُ التَّنْكِيرِ فِي ﴿مَاءً﴾:

عَظَمَةُ الْمَاءِ
النَّازِلِ مِنَ
السَّمَاءِ لِكَثْرَةِ
مَنَافِعِهِ

نُكِّرَ لَفْظُ ﴿مَاءً﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ لِلْبَعْضِيَّةِ⁽²⁾، أَيْ: أَنَّ هَذَا الْمَاءَ النَّازِلَ هُوَ بَعْضُ نِعَمِهِ، وَلَيْسَ الْمَاءُ النَّازِلُ إِلَّا بَعْضًا مِنْ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ⁽³⁾، وَعَبَّرَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ غَرَضِ التَّنْكِيرِ فِي مِثْلِ هَذَا بِبَيَانِ النُّوعِيَّةِ⁽⁴⁾؛ أَيْ: نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْمَاءِ، وَالْغَالِبُ أَنَّ النُّوعِيَّةَ إِذَا أُطْلِقَتْ بِاعْتِبَارِهَا غَرَضًا؛ فَإِنَّهُ يُلْزَمُ مِنْهَا التَّعْظِيمُ، أَيْ: إِنَّهُ نَوْعٌ عَظِيمٌ، كَأَنَّهُ لِعَظَمَتِهِ مَخَالَفُ الْمَعْهُودِ مِنَ الْأَنْوَاعِ، وَيَجُوزُ

(1) علي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1578.

(2) الرَّمْخُسْرِيُّ، الْكُشَافُ: 1/ 94.

(3) أَبُو زَهْرَةَ، زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ: 1/ 159.

(4) الشُّوكَانِيُّ، فَتْحُ الْقَدِيرِ: 3/ 132.

الْجَمْعُ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ لِعَدَمِ التَّعَارُضِ بَيْنَهُمَا، وَتَكثِيرًا لِلْمَعْنَى الْقُرْآنِيَّةِ، وَأَنَّ الْمَعْنَى: وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً عَظِيمًا فِي ذَاتِهِ لِكَثْرَةِ مَنَافِعِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ بَعْضٌ مِنْ نِعَمِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَنَلْحِظُ فِي التَّنْكِيرِ أَنَّ الْمَاءَ النَّازِلَ يَكُونُ بِقَدْرِ مُوزُونٍ كَافٍ لِلنَّظَامِ الْمَعَاشِيِّ عَلَى الْأَرْضِ، أَي: مَاءٌ مَحْدُودًا يَجْرِي عَلَى نِظَامٍ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، وَإِلَّا اخْتَلَّ النَّظَامُ وَغَرِقَتِ الْمَخْلُوقَاتُ وَأُبِيدَتْ.

مَعْنَى الْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَنْثَبْنَا﴾:

الْفَاءُ فِي ﴿فَأَنْثَبْنَا﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَأَنْثَبْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ دَالَّةٌ عَلَى التَّرْتِيبِ وَالتَّعْقِيبِ، وَفِي تَرْتِيبِ إِنْبَاتِ الْأَرْضِ عَلَى نُزُولِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ بِالْفَاءِ إِشَارَةٌ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَكَرَمِهِ وَعَظْفِهِ عَلَى خَلْقِهِ؛ إِذْ إِنَّ الْعَظْفَ بِالْفَاءِ لَمَّا كَانَ لِلتَّرْتِيبِ وَالتَّعْقِيبِ؛ كَانَ دَالًّا عَلَى أَنَّ الْإِنْبَاتَ لَا يَتَأَخَّرُ عَنْ نُزُولِ الْمَاءِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ فِي عَاقِبِهِ مُبَاشَرَةً⁽¹⁾، وَفِي رِبْطِ الْإِنْبَاتِ بِالْإِنْزَالِ دَعْوَةٌ لِلتَّأَمُّلِ فِي دَلِيلِ وَقُوعِ الْمُسَبِّبَاتِ عَقِيبَ الْأَسْبَابِ، فَمَا عَلَى الْعَاقِلِ الْفُطْنِ إِلَّا الْإِيمَانُ؛ إِذْ كُلُّ أَفْعَالِ الْخَلْقِ وَالْإِلْقَاءِ وَالْبَثِّ وَالْإِنْزَالِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ وَرَاءَهَا سَبَبٌ فِي هَذَا الْجَعْلِ وَالتَّنْظِيمِ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

نُكْتَةُ إِضَافَةِ الْإِنْبَاتِ:

أُسْنَدَ فِعْلِ الْإِنْبَاتِ إِلَى الضَّمِيرِ (نَا) الدَّالُّ عَلَى الْعَظَمَةِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَنْثَبْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾؛ لِلإِيمَانِ إِلَى عَظَمَةِ هَذَا الْإِنْبَاتِ وَجَلَالَةِ مُنْبِتِهِ سُبْحَانَهُ، وَفِي ذَلِكَ إِيْمَاءٌ إِلَى عَظَمَةِ الْمِنَّةِ بِالْإِنْبَاتِ؛ لِأَنَّ بِهِ قَوَامَ عَيْشِ النَّاسِ وَبِهَائِمِهِمْ، وَرَدًّا عَلَى مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْإِنْبَاتَ بِسَبَبِ نُزُولِ الْمَطَرِ، وَأَنَّهُ سَبَبٌ تَامٌّ لِلْإِنْبَاتِ، فَبَيْنَ النَّظْمِ الْقُرْآنِيِّ أَنَّ الْمَطَرَ مَا هُوَ إِلَّا سَبَبٌ نَاقِصٌ وَعَاجِزٌ عَنِ الْإِنْبَاتِ، وَأَنَّ الْإِنْبَاتَ يَحْدُثُ بِمَحْضِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، الَّذِي جَعَلَ الْمَاءَ سَبَبًا عَادِيًّا

رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى
وَكَرَمُهُ وَعَظْفُهُ
عَلَى خَلْقِهِ

الإِشَارَةُ إِلَى
عَظِيمِ الْمِنَّةِ
بِالْإِنْبَاتِ

(1) علي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1578.

له لا عقلياً، إذ الخالق تعالى هو الذي خلق الأسباب والمسببات، وربط بينهما ربطاً اقترانياً، فلا يحكمه سبب في الإيجاد، بل أبداع الأسباب كما أبداع المسببات.

نُكْتَةُ التَّعْدِيَةِ بِالظَّرْفِيَّةِ:

شِدَّةُ ارْتِبَاطِ
النَّبَاتِ بِمَقَارِهِ

عُدِّيَ فِعْلُ الْإِنْبَاتِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ بِحَرْفِ الْجَرِّ (في) الدَّالِّ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّمَكُّنِ، إِيْمَاءً إِلَى شِدَّةِ ارْتِبَاطِ النَّبَاتِ بِمَقَرِّهِ وَهُوَ الْأَرْضُ، وَفِيهِ تَأْشِيرٌ إِلَى أَهْمِيَّةِ مَحَلِّ الْإِنْبَاتِ - وَهُوَ بَاطِنُ الْأَرْضِ - الْقَابِلِ لِلْإِنْبَاتِ، فَلَوْلَمْ يَكُنْ بَاطِنُهَا صَالِحاً مَا نَفَعَتِ الْمِيَاهُ النَّازِلَةُ شَيْئاً، وَفِي ذَلِكَ تَأْشِيرٌ دَقِيقٌ عَلَى أَنَّ نَزُولَ الْمَاءِ مَظْهَرٌ وَاضِحٌ لِعَظَمَتِهِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ مَظْهَرٌ خَفِيٌّ لِقُدْرَتِهِ.

غَرَضُ تَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ:

الاهْتِمَامُ بِالْمُقَدَّمِ
والتَّسْوِيقُ إِلَى
الْمُؤَخَّرِ

قَدَّمَ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ ﴿فِيهَا﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾؛ اهْتِمَاماً بِالْمُقَدَّمِ وَتَسْوِيقاً إِلَى الْمُؤَخَّرِ، وَذَلِكَ أَنَّ تَأْخِيرَ مَا حَقَّهُ التَّقْدِيمُ يَجْعَلُ النَّفْسَ مَرْتَقِبَةً لَهُ، فَإِذَا وَرَدَ بَعْدُ؛ تَمَكَّنَ عِنْدَهَا فَضْلَ تَمَكُّنٍ.

بَلَاغَةُ الْإِدْمَاجِ:

الاهْتِمَامُ بِمَا فِي
النَّعْمِ مِنْ مَنَافِعِ
لِلخَلْقِ

فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ إِدْمَاجٌ⁽¹⁾؛ فَقَدْ أَدْمَجَ فِي ثَنَائِهِ أَدِلَّةَ الْحِكْمَةِ الْإِمْتِنَانُ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَنَافِعِ الْخَلْقِ، وَذَلِكَ أَنَّ مِنَ الدَّوَابِّ الْمَبْتُوتَةِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ مِنْ أَكْلِ لُحُومٍ مَا أُحِلَّ مِنْهَا، وَيَنْتَفِعُونَ أَيْضاً بِأَصْوَافِهَا وَجُلُودِهَا وَأَلْبَانِهَا، وَيَنْتَفِعُونَ بِهَا فِي

(1) حَقِيقَةُ الْإِدْمَاجِ: "إِذْخَالُ فِكْرَةٍ فِي فِكْرَةٍ، أَوْ غَرَضٍ بِلَاغٍ فِي غَرَضٍ آخَرَ، أَوْ وَجْهِ مِنْ وَجْهِهِ الْبَدِيعِ فِي وَجْهِ مِنْهُ آخَرَ، بِأَسْلُوبٍ مِنَ الْكَلَامِ لَا يَظْهَرُ مِنْهُ إِلَّا إِحْدَى الْفِكْرَتَيْنِ، أَوْ أَخَذَ الْغَرَضَيْنِ، أَوْ أَخَذَ الْوَجْهَيْنِ، فَإِذَا تَأَمَّلَ الْمُفَكِّرُ ظَهَرَ لَهُ اللَّذْمُجُ، وَسَرَّهُ هَذَا الْإِدْمَاجُ"، عَبْدُ الرَّحْمَنِ، الْبَلَاغَةُ الْعَرَبِيَّةُ: 2 / 427.

الْحَمْلِ عَلَيْهَا وَالتَّجْمُلُ بِهَا، ثُمَّ فِي الإِدْمَاجِ امْتِنَانٌ بِمَنَافِعِ النَّبَاتِ مِنَ الْحَبِّ وَالنَّمْرِ وَالْكَلَّا، وَلَمَّا كَانَتْ الْبِحَارُ مِنَ جُمْلَةِ الْأَرْضِ - بِالْمَعْنَى الْعَامِّ -؛ فَقَدْ شَمِلَ الْإِنْتِفَاعَ بِدَوَابِّ الْبَحْرِ أَيْضًا⁽¹⁾.

مَعْنَى ﴿مِنْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ كُلِّ﴾:

﴿مِنْ﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ حَرْفٌ جَرِّ دَالٍّ عَلَى الْبَعْضِيَّةِ⁽²⁾، وَهَذَا مُفِيدٌ عَظَمَةَ مَا عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ جَلَائِلِ النُّعْمِ وَدَقَائِقِهَا؛ إِذْ كَانَ كُلُّ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ النَّبَاتِ هُوَ بَعْضٌ مِمَّا عِنْدَهُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ ﴿مِنْ﴾ لِلْإِبْتِدَاءِ، وَكَأَنَّ الْإِنْبَاتَ يَبْدَأُ مِنْ مَكَانٍ كُلِّ زَوْجٍ بِهِيَجٍ نَافِعٍ، فَيَأْتِي بِتِلْكَ النَّبَاتَاتِ الَّتِي تَأْخُذُ الْعَقْلَ وَاللَّبَّ.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِ﴿كُلِّ﴾:

جَاءَ التَّعْبِيرُ بِلَفْظِ ﴿كُلِّ﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَأَنْثَبْتُنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾؛ لِبَيَانِ عَظِيمِ قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي إِنْبَاتِ النَّبَاتِ فِي الْأَرْضِ بِمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَنْبُتُ فِيهَا، إِلَّا وَاللَّهُ تَعَالَى مُنِيبُهُ وَخَالِقُهُ.

نُكْتَةُ التَّنْكِيرِ:

نَكَّرَ لَفْظُ ﴿زَوْجٍ﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَنْثَبْتُنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ لِيَكُونَ أَدْخَلَ فِي التَّعْمِيمِ الْمُسْتَفَادِ مِنْ لَفْظِ ﴿كُلِّ﴾؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْآيَةَ وَارِدَةٌ فِي سِيَاقِ الْإِمْتِنَانِ، وَالنَّكِرَةُ فِي سِيَاقِ الْإِمْتِنَانِ تَدُلُّ عَلَى الْعُمُومِ⁽³⁾.

غَرَضُ الْوَصْفِ:

فِي وَصْفِ الزَّوْجِ بِالكَرِيمِ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَأَنْثَبْتُنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى حُسْنِ لَوْنِهِ وَكَثْرَةِ مَنَافِعِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ

عَظَمَةُ مَا عِنْدَ
اللَّهِ تَعَالَى مِنْ
جَلَائِلِ النُّعْمِ
وَدَقَائِقِهَا

عَظَمَةُ الْقُدْرَةِ
الْإِلَهِيَّةِ فِي إِنْبَاتِ
النَّبَاتِ

النَّكِرَةُ فِي سِيَاقِ
الْإِمْتِنَانِ مُفِيدَةٌ
الْعُمُومِ

حُسْنُ لَوْنِ
النَّبَاتِ وَكَثْرَةُ
مَنَافِعِهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 427 / 21.

(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم: 74 / 21.

(3) زكريا الأنصاري، غاية الوصول في شرح لب الأصول، ص: 75.

المُرَادُ مَدْحُهُ مِنْ جِهَةِ إِتْقَانِ صُنْعِهِ وَظُهُورِ حُسْنِ الرُّتْبَةِ وَالتَّحْكِيمِ
لِلصُّنْعِ فِيهِ⁽¹⁾.

عِلَّةُ الْفَضْلِ:

فُصِّلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ؛ لِوُرُودِهِ نَتِيجَةً
وَحَاصِلًا لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ خَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، وَبَثِّ
الدَّوَابِّ وَإِنْزَالِ الْمَطَرِ⁽²⁾.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ:

فِي التَّعْبِيرِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ ﴿هَذَا﴾ الدَّالُّ فِي الْأَصْلِ عَلَى
الْمُشَاهَدَةِ الْمَحْسُوسَةِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ إِيْمَاءً
إِلَى مَا يُشَاهِدُونَهُ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى؛ إِذِ الْمُشَاهَدُ أَدْلُ
عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ فِي تَأْمُلِهِ كَبِيرُ عَنَاءٍ، فَلَيْسَ الدَّلِيلُ
عَلَى وَجُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ دَلِيلًا عَقْلِيًّا مَحْضًا، بَلْ هُوَ
مِنْ نَوْعِ الْعِلْمِ الْإِحْسَاسِيِّ الْمُدْرَكِ بِالْحَوَاسِّ، الْمُتَمَيِّزِ أَكْمَلَ تَمَيِّزٍ
لِكُلِّ مَنْ شَاهَدَ وَتَأَمَّلَ فِي الْمَشَاهِدَاتِ، وَفِي انْتِقَاءِ اسْمِ الْإِشَارَةِ
﴿هَذَا﴾ الدَّالُّ عَلَى الْقُرْبِ تَبْيِيهُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ النِّعَمَ إِنَّمَا وَجِدَتْ
مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ، وَفِي مُتَنَاوُلِ يَدِهِ، وَهَذَا أَدْعَى لَشُكْرِ الْمُنْعَمِ بِهَا،
وَالاعْتِرَافِ لَهُ بِالْفَضْلِ فِيهَا⁽³⁾.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْمَصْدَرِ:

لَفْظُ ﴿خَلَقَ﴾ مَصْدَرٌ لِلْفِعْلِ خَلَقَ أُرِيدَ الْحَاصِلُ بِهِ، وَلَمَّا كَانَ
الْمَقْصُودُ فِي الْآيَةِ نَظَرَ الْإِنْسَانِ إِلَى هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ نَظْرَةَ اعْتِبَارٍ
لَا نَظْرَةَ اسْتِحْسَانٍ؛ جَاءَ التَّعْبِيرُ بِالْمَصْدَرِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هَذَا
خَلْقُ اللَّهِ﴾؛ لِلتَّوْجِيهِ إِلَى نَوْعِ النَّظَرِ الْمَطْلُوبِ، وَهُوَ نَظَرٌ إِلَى طَرِيقَةِ

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا
وَمَا يَبْنِيهِمَا مِنْ
اللَّهِ تَعَالَى

كَوْنُ النِّعَمِ
فِي مُتَنَاوُلِ يَدِ
الْإِنْسَانِ أَدْعَى
لَشُكْرِ النِّعَمِ بِهَا

الْحَثُّ عَلَى النَّظَرِ
إِلَى طَرِيقَةِ
الْخَلْقِ وَالْإِبْدَاعِ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 347، والقنوجي، فتح البيان: 10/ 280.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 147.

(3) سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1580 - 1581.

الْخَلْقِ وَالْإِبْدَاعِ، وَإِلَى الدِّقَّةِ وَالْحِكْمَةِ فِي خَلْقِهَا، وَطَرِيقَةِ تَنَاسُّطِهَا
فِيهَا بَيِّنَتُهَا، بِحَيْثُ لَا يَتَعَارَضُ شَيْءٌ مِنْهَا مَعَ آخَرٍ⁽¹⁾.
نُكْتَةُ الْإِضَافَةِ:

أُضِيفَ لَفْظُ الْخَلْقِ إِلَى الْأَسْمِ الْأَحْسَنِ ﴿اللَّهُ﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ: ﴿هَذَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى فَاعِلِهِ،
وَالْخَلْقِ بِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ، أَي: هَذَا مَخْلُوقُهُ، وَالْإِضَافَةُ هَاهُنَا تَقْتَضِي
التَّعْظِيمَ؛ لِأَنَّ الْعَظِيمَ لَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا الْعَظِيمُ، فَخَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
جَلِيلُ الْقَدْرِ عَظِيمُ الشَّانِ كَامِلُ الصُّنْعِ⁽²⁾.

لَا يَصْدُرُ مِنَ
الْعَظِيمِ إِلَّا
عَظِيمٌ

بَلَاغَةُ الْإِتِّفَاتِ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ:

فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿هَذَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ الْإِتِّفَاتُ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ،
وَكَانَ مُقْتَضًى الظَّاهِرِ أَنْ يَرِدَ النَّظْمُ الْقِرَائِيُّ: (هَذَا خَلَقْنَا)؛ لِأَنَّهُ
قَالَ قَبْلُ: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾، وَنُكْتَةُ الْإِتِّفَاتِ: زِيَادَةُ
التَّصْرِيحِ بِأَنَّ الْخِطَابَ صَادِرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى⁽³⁾، وَلِإِدْخَالِ الْهَيْبَةِ
بِإِظْهَارِ الْأَسْمِ الْأَحْسَنِ ﴿اللَّهُ﴾؛ فَإِنَّهُ الْأَسْمُ الْجَامِعُ لِصِفَاتِ الْجَلَالِ
وَالْكَمَالِ وَالْجَمَالِ.

إِدْخَالُ الْهَيْبَةِ
بِإِظْهَارِ الْأَسْمِ
الْأَحْسَنِ (اللَّهُ)

مَعْنَى الْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَرُونِي﴾:

الْفَاءُ فِي ﴿فَأَرُونِي﴾ مِنَ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ
مِنْ دُونِهِ﴾ فَصِيحَةٌ؛ لِأَنَّهَا أَفْصَحَتْ عَنْ شَرْطِ مُقَدَّرٍ، وَالتَّقْدِيرُ:
إِنْ ادَّعَيْتُمْ لِمَا دُونَهُ مِمَّا عِبَدْتُمُوهُ مِنْ دُونِهِ خَلْقًا عِبَدْتُمُوهُ مِنْ أَجْلِهِ؛
فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ⁽⁴⁾.

طَيُّ مَا دَلَّتِ
الْقَرَائِنُ عَلَيْهِ
اِفْتِصَادًا فِي
اللَّفْظِ

دَلَالَةُ الْأَمْرِ:

فِعْلُ الْأَمْرِ ﴿فَأَرُونِي﴾ مِنَ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ

(1) علي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1581.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 154، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 70، وعلي، سورة لقمان

دراسة بلاغية، ص: 1582.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 147.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 154.

التَّهَكُّمُ أَسْبَقُ
لِلْقَطْعِ بِعَدَمِ
تَمَكُّنِهِمْ مِنْ
مُكَافَحَةِ اللَّهِ
تَعَالَى

الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» لا يُرَادُ حَقِيقَتُهُ مِنْ إِرَادَةِ الْإِزَامِ بِالْفِعْلِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ التَّهَكُّمُ؛ لِكَوْنِهِمْ لَا يَمَكِّنُ لَهُمْ أَنْ يُكَافِحُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ، وَفِي الْأَمْرِ مَعْنَى التَّعْجِيزِ أَيْضًا؛ إِلَّا أَنَّ التَّهَكُّمَ أَسْبَقُ لِلجَزْمِ بِعَدَمِ تَمَكُّنِهِمْ مِنْ مُكَافَحَةِ اللَّهِ تَعَالَى، قَبْلَ الْقَطْعِ بِعَجْزِهِمْ عَنْ تَعْيِينِ مَخْلُوقٍ خَلَقَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ⁽¹⁾.

دَلَالَةُ التَّعْجِيزِ بِالرُّؤْيَةِ الْبَصَرِيَّةِ أَوْ الْقَلْبِيَّةِ:

أَثَرُ اخْتِلَافِ
مَعَانِي الْأَفْعَالِ
فِي إِثْرِهِ الْمَعَانِي
الْقُرْآنِيَّةِ

الرُّؤْيَةُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بَصَرِيَّةً، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ عِلْمِيَّةً قَلْبِيَّةً، وَكَوْنُهَا بَصَرِيَّةً أَشَدُّ فِي إِثْبَاتِ عَجْزِهِمْ؛ لَا سَتَلْزَامِهَا الْاِقْتِنَاعَ مِنْهُمْ بِإِحْضَارِ شَيْءٍ يَدَّعُونَ أَنَّ آلِهَتَهُمْ خَلَقَتْهُ⁽²⁾.

بَلَاغَةُ الِاسْتِفْهَامِ:

الْعَاجِزُ عَنِ
الْخَلْقِ لَا
يَسْتَجِيقُ
الْأُلُوْهِيَّةَ

الِاسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يُرَادُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ فِي التَّهَكُّمِ وَالتَّعْجِيزِ؛ لِأَنَّ هَذَا السُّؤَالَ التَّقْرِيرِيَّ يُلْجِئُهُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِعَدَمِ إِلَهِيَّةِ مَنْ عَبَدُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى بِطَرِيقِ الْكِنَايَةِ وَالِاسْتِدْلَالِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُمْ قَدْ خَلَقُوا شَيْئًا؛ فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُمْ لَيْسُوا آلِهَةً، فَإِذَا وَجِدَ مَنْ يَعْبُدُهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَالَهُمْ مَا ذُكِرَ؛ فَهُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ⁽³⁾، وَالْمُسْتَفْهَمُ عَنْهُ هُوَ الْأِسْمُ الْمَوْصُولُ (ذَا)، الْمُرْتَبِطُ بِصَلْتِهِ، وَهِيَ جُمْلَةٌ فَعْلِيَّةٌ بِصِيغَةِ الْمَاضِي الدَّالِّ عَلَى التَّحْقُّقِ وَالْوُقُوعِ؛ وَالْعَائِدُ إِلَيْهِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ (خَلَقَهُ)، أَي: مَا الَّذِي خَلَقَهُ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ، وَالْمَوْصُولُ الْمَسْئُولُ عَنْهُ صِرَاحَةً وَإِضْمَارًا دَالٌّ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ مَخْلُوقٍ لَغَيْرِ اللَّهِ أَنْ يُجِيبُوا بِإِثْبَاتِهِ، لَكِنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ إِثْبَاتِ التَّخْلِيقِ لَغَيْرِهِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 147 / 21.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 147 / 21.

(3) سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1583.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالاسْمِ الْمُؤْصُولِ وَصِلَتِهِ:

في التعبير بالاسم المؤصول **«الَّذِينَ»** الموضوع للعقلاء المذكور وصلته من قول الله ﷻ: **«مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ»**، احترازاً عن التصريح بذكر أضنامهم؛ قصدًا إلى احتقارها وبيان خسيتها وضعفها⁽¹⁾، وإنما جعلها عاقلة قصدًا إلى مجازاة الخصم في ادعاء العلم والنفع والضّرر لها من دون الله تعالى⁽²⁾.

مَعْنَى **«مِنْ»** فِي قَوْلِهِ: **«مِنْ دُونِهِ»**:

حرف الجر **«مِنْ»** في قول الله تعالى: **«فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ»**، بَيَانِيَّةٌ؛ لتقدم الاسم المؤصول **«الَّذِينَ»** وفيه إبهامٌ، فجاء بيانه بـ **«مِنْ دُونِهِ»**، والحرّف **«مِنْ»** يَجْرُ اسم المكان على وجه الزيادة؛ لتأكيد الاتصال بالظرف⁽³⁾.

بِلَاغَةُ الْكِنَايَةِ:

(دون) في قول الله تعالى: **«فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ»** كناية عن الغير⁽⁴⁾، فالمعنى: فأروني ماذا خلق الذين من غيره، وفي التعبير لفظ (دون) إيماءً إلى أن ما عبيدٍ مما سوى الله تعالى هم في مرتبة أقل من رتبة الربوبية والألوهية، وفي هذه الدونية إشعارٌ بالعجز وإعلانٌ بالنقص؛ ليكون باعثاً لهم على التأمل في الإله الحق، الذي يستحق العبودية والخضوع له.

دَلَالَةُ إِضَافَةِ (دُون) إِلَى الضَّمِيرِ الْغَائِبِ:

في إضافة لفظ (دون) إلى ضمير الغيبة في قول الله ﷻ: **«فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ»**، تنبيهٌ على سُفُولِ رُتَبَتِهِمْ؛ إذ ليس فيما أُسندَ إلى الاسم الأحسن (الله) جهة يخشى من التقييد بها نقص ما⁽⁵⁾.

حقارة الأضنام
وخسيتها
وضعفها

مجيء البيان
بغذ الإبهام
أوقع في النفس
وأمكن

ما عبيد من دون
الله تعالى في
مرتبة أقل من
رتبة الربوبية

الإيماء إلى
سُفُولِ رُتَبَتِهِمْ

(1) علي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1582.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 147/21.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 147/21.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 148/21.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 154/15.

مَعْنَى ﴿بَل﴾:

تَسْجِيلُ
ضَلَالِهِمْ
وَأَنْحِرَافِهِمْ فِي
اعْتِقَادِهِمْ إِلَهِيَّةَ
الْأَصْنَامِ

﴿بَل﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لِلإِضْرَابِ، وَهُوَ هُنَا إِضْرَابُ انْتِقَالِيٍّ، فَقَدْ انْتَقَلَ مِنْ غَرَضِ الْمُجَادَلَةِ إِلَى غَرَضِ تَسْجِيلِ ضَلَالِهِمْ وَأَنْحِرَافِهِمْ فِي اعْتِقَادِهِمْ إِلَهِيَّةَ الْأَصْنَامِ، وَفِي هَذَا الْإِضْرَابِ: تَبَكُّيْتُهُمْ بِمَا نُصَّ عَلَيْهِ مِنْ ضَلَالِهِمْ وَالْإِعْلَامِ بِبُطْلَانِ مَا هُمْ عَلَيْهِ⁽¹⁾.

مَعْنَى ﴿أَل﴾ فِي ﴿الظَّالِمُونَ﴾:

ذُنُورُ حَالِ
الْعَرِيقِينَ فِي
الظُّلْمِ

(أَل) فِي ﴿الظَّالِمُونَ﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ حَرْفٌ دَالٌّ عَلَى الْجِنْسِ وَالْكَامِلِ، أَيِ: الظَّالِمُونَ الْعَرِيقُونَ فِي الظُّلْمِ الْكَامِلُونَ فِيهِ⁽²⁾.

بِدَاغَةُ وَضْعِ الظَّهْرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ:

الظُّلْمُ مُوجِبٌ
لِلْكَوْنِ فِي
الضَّلَالِ

فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وَضَعُ لِلْمُظْهَرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ، وَكَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يَرَدَّ النُّظْمُ الْقِرَائِيَّ: (بَلْ هُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)، وَالنُّكْتَةُ فِي ذَلِكَ: الدَّلَالَةُ بِأَنَّهُمْ بِسَبَبِ شَرِكِهِمْ وَاضِعُونَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَمُجَاوِزُونَ الْحَدَّ وَظَالِمُونَ لِنَفْسِهِمْ بِتَعْرِيزِهَا لِلْعَذَابِ الدَّائِمِ، وَفِي الْإِظْهَارِ تَعْمِيمٌ لِكُلِّ مَنْ اتَّصَفَ بِوَصْفِ الظُّلْمِ، وَتَنْبِيْهُ عَلَى أَنَّ وَصْفَ الظُّلْمِ هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ لَهُمْ كَوْنَهُمْ فِي ضَلَالٍ⁽³⁾؛ لِأَنَّ تَعْلِيْقَ الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ بِالضَّلَالِ عَلَى الْمَشْتَقِّ دَالٌّ عَلَى عَلَيْهِتِهِ فِيهِ.

دَلَالَةُ الظَّرْفِيَّةِ:

شِدَّةُ مُلَابَسَةِ
الضَّلَالِ لِلظُّلْمَةِ

حَرْفُ الْجَرِّ ﴿فِي﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ دَالٌّ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ الْمَجَازِيَّةِ، وَهُوَ مُفِيدٌ أَنَّ ضَلَالَهُمْ قَدْ اكْتَنَفَهُمْ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 155، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 70، والقنوجي، فتح البيان:

10/ 280، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 148.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 155.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 155، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 81.

وأحاطَ بهم في جميع أحوالهم، فهو لِشِدَّةِ مُلَابَسَتِهِ إِيَّاهُمْ كَأَنَّهُمْ دَاخِلُونَ فِيهِ⁽¹⁾، ففي جعلِ (الضلال) - وهو أمرٌ معنويٌّ - مكاناً حسيّاً يدخله الظالمون استعارةً مكنيَّةً، بتشبيه الضلال بدهلِيز عميقٍ يحيطُ بالظالمين ويَتِيهون فيه، ثمَّ حَذَفَه وأبقى من لوازمه ﴿فِي﴾ الدَّالَّةُ على الظَّرْفِيَّةِ؛ لتكونَ قرينةً على الاستعارة، ونلحظُ أَنَّ هنالك طباقاً حرفياً خفياً بين حالِ المؤمنين بأنَّهم ﴿عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾، وحالِ الظَّالِمِينَ بأنَّهم ﴿فِي ضَلَالٍ﴾، كما خالفَ بين ذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِ(اسم الإشارة: أولئك) الدَّالِّ على عَظَمَةِ الرُّتَبَةِ، وذِكْرِ الظَّالِمِينَ بِذِكْرِهِمْ بوصفهم دونَ إشارةٍ إليهم؛ تحقيراً وازدراءً بحالهم.

نُكْتَةُ التَّنْكِيرِ:

نُكِّرَ لفظُ ﴿ضَلَالٍ﴾ في قولِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لإفادَةِ التَّعْظِيمِ، أي: هُمْ فِي ضَلَالٍ عَظِيمٍ جَدًّا مُحِيطٍ بِهِمْ⁽²⁾.

بَلَدَعَةُ الْمَجَازِ:

﴿مُبِينٍ﴾ في قولِ اللَّهِ ﷻ: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى: الْوُضُوحِ، وَالْمَعْنَى: بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ، وَهَذَا لِشِدَّةِ انْحِرَافِهِمْ وَعَظِيمِ شَرِّكَهِمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْمُظْهَرِ، أي: إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي ضَلَالٍ مُّظْهَرٍ حَالَهُمْ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِسْنَادُ الْإِبَانَةِ لِلضَّلَالِ مُجَازٌ عَقْلِيٌّ عَلَى جِهَةِ الْمَبَالِغَةِ.

شِدَّةُ انْحِرَافِهِمْ
وَحُطُّوْرُهُ
شَرِّكَهُمْ

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِـ ﴿مُبِينٍ﴾ مَادَّةً وَصِيغَةً:

في التَّعْبِيرِ عَنِ الضَّلَالِ بِأَنَّهُ ﴿مُبِينٍ﴾ في قولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ إِيْمَاءٌ إِلَى شِدَّةِ ظُهُورِ ضَلَالِهِمْ، وَأَنَّ عُقُولَهُمْ وَصَلَتْ مَبْلَغًا عَظِيمًا مِنَ الْفَسَادِ؛ حَيْثُ لَمْ يَرَعَوْا عَنْ هَذَا الضَّلَالِ، مَعَ أَنَّهُ ظَاهِرٌ غَايَةُ الظُّهُورِ، وَفِي التَّعْبِيرِ بِصِيغَةِ ﴿مُبِينٍ﴾ -

فَسَادُ عُقُولِ
الْمُشْرِكِينَ بِحَيْثُ
إِنَّهُمْ عَمُوا عَنِ
الضَّلَالِ مَعَ شِدَّةِ
ظُهُورِهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 148 / 21.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 155 / 15.

وهي في الأصل اسم فاعلٍ مِنْ (أَبَانَ) - مُبالغةً في وُضوح ضلالِهِمْ؛
لأنَّهُ إذا كَانَ مَبِينًا لَضلالِهِمْ وَانْجِرافِهِمْ؛ فَكَوْنُهُ بَيِّنًا فِي نَفْسِهِ مِنْ
باب أولى.

❁ الفُروقُ المُجَمَّيَّةُ:

الإنبات والزَّرع:

الإنبات إخراج والزَّرع إدخال

الإنباتُ: إفعالٌ مِنَ النَّباتِ، والمرادُ: إخراجُ النَّباتِ مِنَ الأرضِ،
والنَّباتُ يَعْمُ كُلُّ ما يَخْرُجُ مِنَ الأرضِ، سواءً أَكانَ لَهُ ساقٌ أَمْ لَمْ
يَكُنْ لَهُ ساقٌ⁽¹⁾، أَمَّا الزَّرعُ؛ فَيُطْلَقُ على أمرينِ؛ أحدهما: أن يكونَ
اسمًا، والمرادُ بِهِ المَزْرُوعُ، وَهُوَ ما يَنْبُتُ على غَيْرِ ساقٍ مِمَّا يَخْرُجُ
مِنَ الأرضِ⁽²⁾، والآخَرُ: أن يكونَ مَصْدَرًا، والمرادُ بِهِ: وَضْعُ البَذْرِ فِي
الأَرْضِ بِقَصْدِ النَّماءِ، والفرقُ بَيْنَ الإنباتِ والزَّرعِ بِمَعْنَاهُ المَصْدَرِيُّ
أنَّ الإنباتَ إخراجٌ، والزَّرعَ إدخالٌ.

وقَدْ يُطْلَقُ الزَّرعُ على الإخراجِ، وَمِنْهُ قولُ اللَّهِ تَعَالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَّا
تَحْرُثُونَ﴾ ^(٦٣) **عَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** ^(٦٤) [الواقعة: 63 - 64]، فَتَنَسَّبَ
اللَّهُ تَعَالى الحَرثَ إلى العِبَادِ، وَلَكِنَّهُ نَفى عَنْهُمْ الزَّرعَ وَنَسَبَهُ إلى
نَفْسِهِ سُبْحانَهُ، وَإِذا نُسِبَ الزَّرعُ إلى العَبْدِ؛ فَلِكَوْنِهِ فاعِلًا لَأَسبابِهِ⁽³⁾.

(1) الزَّاعِبُ، المفردات: (نبت).

(2) الزَّاعِبُ، المفردات: (زرع).

(3) الزَّاعِبُ، المفردات: (زرع).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.

مج. 43 ، 816 صفحة ؛ 24x17 سم.

ردمك : 5-94-732-9948-978

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 5-94-732-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»